



دُعيت ذات يوم إلى غداء، وبدأت طعامي بطريق من الحساء (الشوربة)، ولما كنت ميالاً إلى زيادة الملح في الطعام فقد رفعت المملحة فوق الطبق دون أن أنتبه إلى فتحاتها العملاقة، فاندلقت كمية كبيرة من الملح جعلت الحساء غير سائغ ولا يمكن بلعه، فسكتت منه المزيد والمزيد لأخفة تركيز الملح، حتى صار غدائى كله حساء في حساء.

تذكرت هذه القصة وأنا أراقب ما يصنعه المبعوث الأميركي المنحاز سبيئ الذكر ديمستورا بوفد المعارضة، فهو لم يكتفى بالضغط الهائل الذي مورس على المعارضة ابتداءً حتى تُنتج "هيئه تفاوض عامة" تضم من يمثل الثورة بحق ومن لا يمثلها بحق، ومن يستحق أن يُحسب على الثورة ومن لا يستحق، لم يُرضِ ذلك كلَّه، فهو ما زال يراه وفداً "غير مؤمن" على أهداف التفاوض الديمستورية الروسية الأمريكية. إنه ما يزال يرى الملح في الطبخ أكثر مما ينبغي، فلم يجد طريقةً أفضل من سكب المزيد من الحساء في الطبق.

وهكذا رأينا الطيارات الذاهبة إلى جنيف مكدسة بوفود السوريين. أليس السوريون هم من سيقررون مستقبل سوريا كما قال السيد الحكيم ديمستورا؟ فليكن، ففي سوريا سوريون كثيرون، لا يلزم أن يكونوا شرفاء ولا يلزم أن يكونوا وطنيين، بل يلزم أن لا يكونوا، فإن مهمتهم هي تخفيض تركيز الملح في الحساء.

وهكذا جرى أمام أعيننا إغراق المعارضة بعشرات الشخصيات التي لا يكاد المرء يفرق بينها وبين ممثلي النظام الحقيقيين،

جاءت في وفود موسكو والقاهرة والأستانة وحميميم، دون أن ننسى الإشارة بالطبع إلى وفد نساء ديمستورا الحميم.

* * *

ما الحل؟ الحل سهل: انثروا فوق الطبيخة مزيداً من الملح. إنْ كان السيد ديمستورا قادرًا على تأليف الوفود فنحن أقدر، وإن يكن في جعبته عشرات من السوريين الذين باعوا أنفسهم له ولمشروعه فإن في جعبتنا من السوريين الصادقين المخلصين الشرفاء آلافاً ومئات ألف وملايين.

نقول لثوارنا: لتألف الفصائل وفداً كبيراً وتذهب به إلى جنيف، ولينذهب إلى جنيف وقدّ من منظمات المجتمع المدني التي أصدرت ذلك الإعلان الرائع غداة جولة مشاورات جنيف في شباط الماضي، ولتجمع المنظمات الإغاثية والإنسانية وتُخرج من بينها وفداً ترسله إلى جنيف، وليتداعِ إعلاميو الثورة المستقلون الشرفاء ويؤلّفوا وفداً يذهب إلى جنيف... ولا ريب أن في حرائر سوريا من ذوات الدين والخلق والانتماء الوطني الصادق من يفوق "نساء ديمستورا" في العدد ويتفوق عليهنَّ في الكفاءة، فلينذهبنَّ أيضاً إلى جنيف. ليتصل هؤلاء جميعاً بالهيئة العليا فينسّقوا معها ويرتبوا الذهاب إلى جنيف لإفشال خطة الإغراف الخبيثة وتنقييل وزن الثورة على طاولة المفاوضات.

* * *

قولوا للسيد ديمستورا: اصنع ما شئت وسوف نصنع ما نريد. إن كان في القدور التي تطبع فيها حَلَك السياسي مزيد من الحسأء فإن لدينا من الملح الصافي قَدْرَ براميل، ولسوف ننشرُ منها فوق طبختك المزيد والمزيد.

الزلزال السوري

المصادر: